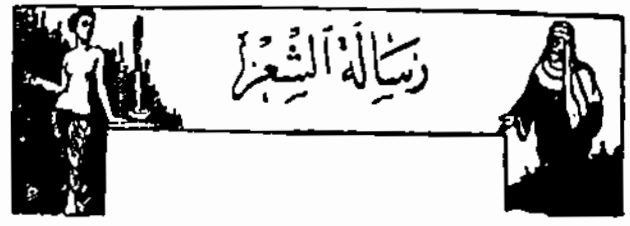

آلام شاعر !

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

ألم يكفها أنى تركت لها فدى
وضيعت أمسى ، ثم ضيعت حاضرى ؟
ألم يكفها يأسى وحزنى وحيرتى
وضيعة آمالى ، ولوعة خاطرى ؟
فجاءت تعرى روضتى من غصونها
وتنثر فوق الأرض فيض أزاهرى !
وتملأ لى كأسى من الهم والضنى
فتفعل بى فعل السهاد بساهر
كفى ألما بعدى عن الناس كلهم
وكثرة أعدائى ، وقلة ناصرى !
كفى ألما أن أترك اليوم ظامئا
أفتش عن نبع من الماء زاخر !
ويرجع كل الناس نحو ديارهم
وأمضى شريدا مستطار الشاعر
أهيم على وجهى كأنى مطارد
من الدهر ، أو جان على كل سائر
لقد كنت أخفى هم نفسى ؛ فها أنا
أهتك أشعارى ، وأبدى سرائرى !
أنا الشارد الهيمان ! عفت إقامتى
وسرت كطيف شارد الخطو نافر
أنا الشارب الظمآن ! تهتز أكؤسى
بدمع المآسى ، لا بخمر المعاصر !
أنا الشاعر الحيران ! حطمت معزفى
وأصغيت فى يأس لبوم الفناور
تمر على قلبى الليالى كأنها
مواكب أشباح سرت فى مقابر
وتبدو لعينى الأمانى كأنها
تصاوير جن ، أو تهاويل ساحر
فإن جئتها أبغى لقلبى راحة
لديها ، تعد كالعثير المتطاير
أليس لقلبى أن يعيش منعما
يغرد فى الآفاق تغريد طائر ؟
أكل حياتى لوعة وكآبة
وأحلام محروم ، وأوهام شاعر ؟
أكل حياتى لهفة وصبابة
وآلام ظمآن ؛ وأحزان حائر !
فهمت أضاليل الحياة فمقتها
كما عافها من قبل أهل البصائر
وعشت كأنى ضارب فى مفازة
على ظمأ مر ، وخوف مخاطر
أنام على يأس قديم مساور
وأصحو على يأس جديد مبادر !
إذا هدأ الليل الرهيب أثارنى
وذكرنى عهد الليالى الغوابر
فرت على قلبى طيوف كثيرة
تطوف حولى فى الدجى كالسواحر
على ثغرها الذاوى شكاية حائر
وفى وجهها الباكى كآبة عاثر
وفى قلبها الشاكى جراح كثيرة
تنوح نواح الريح تحت الدياجر
وفى مقلتيها أدمع خلت أنها
سوافر مركن غير سوافر
عرفتك يا أطياف عمرى الذى مضى
ولم يبق لى إلا علالة ذاكر
عرفتك لا بالعين ؛ فالعين لا ترى
بها صور من عالم غير ظاهر
ولكن بتحنان الفؤاد وخفقه
وهزة روحى ، واختلاج مشاعرى

وهمس جرى فى مهجتى فسمعته
وإن كان أخفى من طيوف عوابر
أأنت التى كانت نعيما وفرحة
لقلبى ، وكانت بهجة لنواظرى !
أأنت التى أنبت فى قلبى المنى
فرفت كأزهار الربيع النواضر ؟
أأنت التى غنى بها القلب مسعدا
على شدو أطيار ، وعزف قياثر ؟
أأنت التى كانت لنفسى مفزعا
من الهم إذ يغشى عتى الهوادر ؟
تغيرت ! حتى صار أمرى مع المنى
ضراعة مهجور ، وقسوة هاجر
تغيرت ! حتى كدت أنكر ما مضى
وحتى لقد أوشكت أنكر حاضرى
وما أنا إلا عابر لم يتح له
من العمر إلا ما يتاح لعابر
أسير وما أدرى ! وأرتو وما أرى
وأصبو وما ألقى ! ولست بصابر
أظل حزين النفس يرتادنى الأسى
وتقذفنى البلوى إلى كل غائر
أفكر فى عمرى الذى ضاع مثلما
تضيع على الآفاق آهات زافر
أفكر فى قلبى الذى لم أجد له
أنيسا ، ولم أظفر له بمسامر !
أفكر فى حظى ؟ فإنى لم أجد
مثيلا له بين الجدود العواثر !
أفر من الآلام على أثرها
ومن أين ؟ والآلام جند القادر
وأستر آلامى ، وأخفى مواجعى
فتفضحنى آثار دمع الهاجر !
قضى الله أن أحيا بدنياى حائرا
كأنى لحن فر من نأى زامر
كأنى سفين ضل البحر سيره
فغيب فى لج من الموج غامر
كأنى دفين أطلقته يد البلى
فعاش بدنيا الناس عيش المحاذر
ألا ليتنى ميت ، فيهدأ خافقى
وترسب آلامى ، وترسو خواطرى
وينعم جسمى بالتراب ، فطالما
أضرت به أشواك تلك الأزاهر
تعال فؤادى ، حسبنا اليأس منتهى
وهيا نجرب حظنا فى المقابر !
أأمسى على دنيا ستفنى حميمها
وصبت على قلبى لهيب المجامر؟
سأخرج منها ما قضيت لبانتى
ولا نلت أوطارى ، ولا قر طائرى !
أأمسى على مجد يقولون إنه
حياة لجسم ميت متناثر ؟
أأمسى على فن وهبت له دمى
وما نلت منه غير وهم مساور ؟
وهل نافعى أن أبصر الآل لامعا
وأترك ظمآنا صريع الهواجر ؟
لعمرك ما فى العمر خير إذا خلا
من الحب . إن الحب نور البصائر
وما الحب إلا النبع رفت صياهه
رفيف نجوم فى السماء زواهر
وما هو إلا عالم ساحر الرؤى
وكنز سعادات ، ودنيا بشائر
وما هو إلا المجد يسمو لعرشه
ويشكو إليه القل عرش الجبابر
وما هو إلا الفن يسمو بأهله
إلى ملكوت عاطر النور طاهر
إذا لم ينل قلبى من الحب ما اشتهى
فإنى بما قد نلت — أضيع خاسر

ابراهيم محمد نجا